"الشعر الشعبي... وفلسطين وفوهة البندقية"

داود سلمان الشويلي

« عرم الثائر عمره مبهبط
بطحن شوك الدنيا بضرسه
ويحرق نفسه
زي الشمعه
والمتردد والمنخبط . والمتسعبط
فوق كتاف الثوره وحافظ
حط الرجعه
رجل انكدم .. ورجل اناخر
وبالتساله الثوره شغله
بمكن يزبط
هيه الثوره فيها بمكن وميمكنشي
ليش انسد الدرب علينا
ابعد ... صف بمينك امشي
سكه طويله وصعبه وحتما
لازم تزبط .. »

للشاعر الفلسطيني ـ صخر

وهكذا يكون الشاعر كأسم يكتب على الورق ليظل مدونا في كتب التاريخ والسير .. وتكون الاوراق بذلك هي المنعمه بما يكتبه هذا الشاعر ـ الشاهد فقط ، ونظل الجماهير كطرف آخر بحجز عنها ما كتبه ذلك الشاعر .. ولكن المهمة الرئيسية للشاعر ـ الشاهد ان يكون محرضا .. انه ثوره تقود الجماهير الى الثورة والتغير والبناء .. هذا الشاهد ـ المحرض له دور الريادة كقائد يقوم بدور المنظر والفاعل لكل الجماهير الغفيرة التي تقف من ورائه ليقودها الى ساحة المعركة .. الى النصر او الشهادة .. يقودها الى بناء عالم المستقبل .. لهدم المجتمع القديم وبناء مجتمع زاهر اشتراكي .. الشاعر ـ المحرض ـ الشاهد ، هو الذي « يحمل لواء الرفض والنقد لسلبيات الواقع ويدعو الى التغير » .. هذا الشاعر هو الاقدر على حمل الكلمة الثوريه الى ابناء شعبه .. وليس الشعر الشعبي الا احد تلك الكلمات بل انه هو الكلمة الثوريه نفسها .. الكلمة التي وقفت يوما بوجه الانكليزي وراح شاعر الثورة آنذاك والجموع من خلفه تزحف للنصر تتقدمهم « الهوسة » الى مدافع الانكليز :

« الطوب احسن لو مكواري »

هـذا الشاعر ، وتلك الكلمه ، هما اللذان استطاعا ان يدكا معاقل الاستعمار والرجعية وهما اللذان قد خلفا لنا بعد ان خلفهما .. كل من لوركا وناظم حكمت ، ونيرودا ، واراغون ، ومحمود درويش ، وخالد ابو خالد ، والرصافي ، والملا عبود الكرخي ، وغيرهم من الشعراء الذين وقفوا بوجه الاستعمار وهم يتقدمون الجماهير الزاحفة الى الثورة والنصر .

والشاعر الثوري .. هو الذي يحمل لواء الالتزام بالثوره والذي يقود الجماهير لها وهو المؤمن بقدرات هـذه الجماهير على صنع الغد المنشود وهو ايضا المساهم الفعال في النضال الفعلي من خلال الحركه التي تقوم بها الجماهير المنطلقة الى غد مزهر مثمر .

وهكذا كانت الكلمه الشعبيه او بتعبير ادق المفردة العامية هي اقدر قوالب التعبير اللغوي في بناء القصيدة الثوريه « لا لانها لغه التخاطب بين اوسع الجماهير ، بل لان تراثها الفني اعمق لدى الوجدان الشعبي من التراث العربي الفصيح » كما يقول غالي شكري ، وبهـذا فقد خلق لنا شعراؤنا الشعبيين تراث ضخم من الهوسات والقصائد النضالية الحماسيه والتي هي ثروة كبيرة لا يستهان بها في رفد شعرنا الشعبي الحديث بروح ثورية حماسيه . هذا الشعر هو الذي استطاع ان يمتص رحيق الكارثة ومعاومتها في حينها وليعود ـ ايضا ـ الجماهير الثائرة محرضا اياها الى الثورة والنضال .

واذا كانت ثورة العشرين هي الشرارة الاولى في ايجاد القصيدة الشعبيه الثوريه المقاتله في الشعر الشعبي العراقي القديم فقد كان الخامس من حزيران هو المولد الحقيقي للقصيدة الشعبيه الحديثه .

فقد جاء الخامس من حزيران « ليضيء بلهبه الحارق مسافات العتمه التي لم تتمكن نار الشاعر ان تضيئها » .. هذا الخامس مـن حزيران هو المولد الحقيقي لاضاءة المسافة المعتمة التي كان يعيشها الشاعر الشعبي الحديث ..

« نحتنه من غبار المعركة اخيول
البطولات العرب صمّر
وفوك إمن السروح اعيون، ابمجان
الطعنه تتبصر
حطني ابسهم اليرامون ويصدر
العدو انكسر » (١)

هذا الاصرار على الثورة، وهذه الروح المتفانية في خلق الثورة والسير بها قدما الى النصر هي الحقيقة بقيادة الجماهير الى ساحة المعركة وتحريضها على حمل السلاح حتى النصر .

والشاعر .. لا يقف عند هذا الحد ، بل انه يقوم بدور القائد الفكري ايضا للجماهير التي يقودها ، انه عندما يعلن لهم حقيقه الاستعمار والصهيونية فانه ايضا يحرك فيهم مشاعر الثورة والنضال ..

« عدو كبك ، عدو شعبك ،
عـدو شمسك
عدو خبزك ، عدو دمك ، عدو
امك ، عدو كل بيت بيه ازغار
الاستعمار » .

وبهـذا ، يحقق الشاعر لنا دور الكلمة الشعبية المقاتلة ، الكلمة التي « التصقت اكثر فاكثر بمشكلات هذا الشعب وناضلت معه في كافة معاركه الوطنيه والاجتماعية واصبحت بالفعل لغة لها ظلال طبقية واشعاعات خاصة على الفئات المسحوقة من شعبنا » .

هذه الكلمة التي عاشت مع الجماهير منذ ان قال شاعر ثورة العشرين وهو يقف بوجه القائد الانكليزي « هاملتن » :

« ذوله امروح الازرح موش اهل للوم
« يهاملتن » تيذب لا تزومش دوم
بالسنگي معاك انريد نصفي اليوم
رد لا تتدهده بحلك آفه »

ويقف الشاعر شاكر السماوي مترنما باغنيته التي يهديها الى فدائي فلسطيني ليثير فينا الشعور بالمشاركه مع هـذا الجندي المجهول ، الانسان المقاتل الرابط وراء خطوط النار :

« يا سيف النار اعله گرابه
يا جرح الشايل عطابه
يا فيّ إمسدّى إعله ترابه
گوز انته إو روحك نشابه »

والشاعر بهذه القصيدة خلق لنا جو ثوري حماسي حيث اتخذ له وزن « العكيلية » اطارا لمضمونه الثوري ..

« وشما هـدم وشما روّع
وشما بشنـل وشما يكطع
وشما سوه او سوه او اكثر
مجروح اوصكة اشما يصنع
لا تلـزم بلجامه او ترجع
مشتاك اسمع صهيلة مدفع
خل ساجر بجروحك بنبع
خل الظلمه ابدمك تصطع
شانه الفجر بدم يترگع »

هذا الاصرار بالغد المنشود ، وهذا الفداء بالنفس والدم هو الذي يصنع لنا المجتمع السعيد المشرق .

وهذا الوعي الذي ادركه الشاعر شاكر في قصيدته هذه عندما بناها على وزن « العكيليه » قد حقق ايضا الترابط بين الشكل والمضمون عند الشاعر عزيز السماوي في قصيدته « العاصفة » والتي يقف بها الشاعر بدور المحرض الثائر .. والمبشر ايضا بغد افضل ..

« وج اسنينك بنهار اظلم
وضلوعي الهم جسر امحصن ..
حتى البرغ صعد البرغ
تراك نجمات ابلادي
شجه انصير بارض الوادي »

عندما يكون الشاعر ، الشاهد ، المحرض على الثورة فانه ايضا الباني لمستقبل تلك الجموع التي يقوم بقيادتها الى النصر :

« واعلن ، واعلن
واعلن للوادم للوادم
انه الماتنذل افكاره »

ويقف الشاعر كريم محمد في قصيدته « صحوة حلم » يرثي لنا ارضنا السليبة برومانسية وغنائية عذبة ، وهذه الرومانسية الا احدى آثار حزيران .. انه يغني للارض التي اغتصبها الصهاينة من اهلها الذين ظل زمن العودة حلما يراودهم بعد ان بدأت في سماء الارض العربية وجوه الرجعية وانصار الاستعمار .

« اكتبلك سوالف بيض
اتهجس حلم عشناه اشكد خيبة
حلمنه اتغيض
اتهجس عذاب الگاع
مصلوب المسيح تراب ، حزنه ايفيض »

هذا الحلم السوداوي ، الحلم النابض بالالم يقف متسائلا عن :

« علامة سـرك المفضوح
كلمه اتعجز النسيان »

ويظل شاعرنا يتغنى باحزانه ، وينفث آلامه .. حيث يقف وبسلبية امام الجماهير التي تنتظر العودة .

« رحل مطرود والينه ..
او طريق الرجعه صار ابعد
جثير ابعد .. »

اما الشاعر مجيد جاسم الخيون فانه يقوم بدور العلم الروحي للجماهير التي تمد ببصرها الى فلسطين محتلة والى استعمار يقوم بدور الاب للصهاينة المحتلين .

« يا ضمير العـالم المشلول ..
ما هزتك خيمه
واليتامه الحافها برد الشته ..
والگاع هيمه
والرصاص اصـدور عزل ..
والجبان ابغير شيمه
وبعرين السبع .. ثعلب مـن
يـا رصاص سلاحنه الرايـح
حريمه أ موحريمه »

والشاعر لا يقف عند هذا الحد ، بل انه يقوم برثاء الارض السليبة حيث اغتصبها « عصابات السطو بتكساس » اذ يقول :

« يا فلسطين ابخنجرك ..
ما نشف دمهه »

انه ، بهذه القصيدة ـ ايضا ـ يقف كدارس للتاريخ ، انه يؤرخ لا يحرض ان الثورة بهذه القصيدة ثانية من دور الشاعر في نقل الوقائع وتسجيلها تسجيلا فوتغرافيا .

« وانشد الگاع .. السكنه ادمومنه
.. هم نشف دمهه
وانشد الثكله التحج الليل ..
هم بطل ولمه
وانشد الرضعان.. وانته الماتهابش
..مفهو السبب يتمهه
عرّج وشوف الصناجخ ..
ما تجذب..مفهو الطبج علمهه
كلهـا تصرخ صوت واحـد ..
جونسن ساس الجريمه
والسوالف ضاعت ابهيبة امكم
يـا حريمه
ما يرد الگـاع غير اسلاحنه
البيه العزيمه »

هذا النداء الذي يوجهه الشاعر الى الفدائي .. هو الشهادة باستدراج التاريخ ليكون الباعث في الروح العربية الثورة والنضال .

●●●

وتقف ثورة الشعب الفيتنامي النموذج الثوري لنضال الشعوب في تحقيق النصر ومـن الثورة الفيتنامية ينطلق الشاعر حامد العبيدي يتغنى بها ، لا لانها ثورة فيتنامية فحسب بل لانها تشكل المثل الاعلى لنضال الشعوب في جميع انحاء العالم ومنها ثورة الشعب الفلسطيني والشعب العربي عامة .

« فيتنام ..
يا جرح الضمير الذلته الايام
يا حلم البشر الحفرّ على اجناحه
الليالي تنـام
يا لصوت انعجن بالدم خياله
يرهب الظلاّم
ويسهّر جفون الليل .. بانغام
المعارك غنت الرايات
وانغام المعارك جسر للاحـلام »

وهكذا تكون الثورة الفيتنامية هي الثورة في فلسطين ايضا :

« فيتنام ..
يا صوت ارتفع عالي ونشر على
الكون جنح النور والايمان
كل حب البشر وگلوبهم وياك
يا صوت العداله اهناك
تغني باسمك المقـدام
عـاش الصوت
صوت الشعب .. بفيتنام »

●●●

وهكذا ..

تكون الكلمة الشعبية هي القـادرة على حمل المضمون الثوري عند الشاعر وهي المحرضة ايضا الى هذه الثورة .. والقائد للجماهير الى النصر .

واخيرا ..

فان هذه النماذج التي قـدمتها لكم لا تشكل احسن ما قيل في الشعر الشعبي الحديث ومعبر عن الثورة .. بل ان هناك قصائد كثيرة كان لها فعل مشابه لفعل هذه النماذج .. ■■

خمس خواطر للخامس من حزيران

شتمت الساكنين قبلي في هـذا الخندق وانا امسح الطين من اخمص البندقية .. لم يعتنوا بنظافة الحفرة .. وسكبوا الماء داخلها قبل الرحيل الى الخلف .. وجئت احمل تصوري وانـا انزع حقيبة الظهر وارميها على حافة الخندق. ان الليل اذا اقبل سيحمل لنا معه شيئا مما فقدناه قبل اعوام قليلة .!

★ ★ ★

غسلت وجهي بماء الزمزمية .. وحركت جسمي يمينا ويسارا .. وطوحت بيدي كذلك يمينا ويسارا .. وانحنيت على بندقيتي وقبلتها .. تحية صباح ليوم جديد لا اعلم من مستقبله شيئا .. ولا استطيع الجزم بالنتيجة .. وكلنا يحمل في ذهنه نتائج لصالح الخندق الذي يسكنه ..!

« طائرة معادية في الافق باتجاه خطوطنا » اعتقد ان في دمنا كريات جديدة تختلف عن الكريات البيض والحمر .. وتشترك معهما في افراز الحيوية واحساسي بذلك تكرر عدة مرات .. اذا بدأ بعدها بالتحفز الشرس .. والخندق يضيق بي . وكانني اكبر واتضخم .. واخاف من يوم اعتصر فيه بندقيتي فتتهشم .. لان تحفزي لا يتسلل الى الخارج .. واخاف اكثر من ساعة يصل فيها تضخمي وكبري الى حالة لا احتملها .. فانفجر .. داخل خندقي .!

★ ★ ★

في ايام الدراسة كان يجلس معي في الفصل طالب احببته لصمته ولرؤيته الفنية .. اذ كان يرسم ببراعة كبيرة ويخلق من الاحلام رسوما للواقع .. رغم تشابك الاشياء فيها. لا ادري كيف تذكرته « وانا ارصد شهابا يمرق في السماء » وتذكرت لوحة رسمها على اثر نكسة الخامس من حزيران .. اللوحة فيها انسان من هـذا العصر يحمل سيفا ثقيلا بيساره وراحة يده اليمنى وقدميه دقت على صليب كبير والدم ينزف منه .. وسيفه الثقيل رسم بقوة .. اذ كان يقاتل ..

هذه اللوحة قدمها هـدية الى معهد للصم والبكم .. هناك حيث تتعلم شقيقته .. لغة الكلام .!

★ ★ ★

« غبي .. اخـرج راسه ليرى الضفة الاخرى .. ونالته رصاصة .. فمات » يتحدثون عن موت بسيط بعفوية سالكين دروب العادة ان لا يروا من الامور الا الجانب الذي هم فيه ..

« لا تحاول اخراج الراس » ..
« ارصد بدقة .. تحرك العدو » .
« اخبر مرؤوسيك بما تراه لاتخاذ اللازم » .. من يدري ربما هذا الذي تصفوه « بالغبي » اشتاق كثيرا وعاش كثيرا .. واحب كثيرا واراد ان يرى حبه الذي لم يشاهده قط .. على الضفة الاخرى !

.. من يدري . فالكثيرون عشقوا .. دون عشيقة واحبوا دون حبيبة .. والراس هو الذي يموت لانه مصدر الحب والعشق .. مات صاحبنا عندما اراد ان يعانق بعينيه الضفة الاخرى وقالوا عنه كان غبيا .. وكما نعلم ان العين مركزها الراس ..! ■■

عقيل حسن الخطيب

الحرية للمعتقلين السياسيين في السودان

وجه عدد من الادباء والمثقفين العرب البرقية التالية :

الرئيس جعفر النميري ـ الخرطوم

الكتاب الموقعون يستنكرون الحملة الضارية التي تشنها السلطة في السودان اليوم على الطلاب والمثقفين الثوريين واعتقالهم ، كما يستنكرون اغلاق الجامعات والمدارس ، ويعتبرون ان القوانين المقيدة للحريات والاحكام العرفية وانتهاج سياسة البطش والارهاب في وجه الحركة الوطنية والاشتراكية عمل يتنافى مع ابسط مبادىء الحرية ويتنافض مع مطامح الشعب السوداني والشعوب العربية في التقدم والتحرر .. ونطالب بوقف الحملة الظالمة فورا وبالافراج عن المعتقلين الوطنيين والديمقراطيين والقوميين التقدميين .

سهيل ادريس ، ادونيس ، ميشال سليمان ، حسين مروة ، محمد دكروب (لبنان) جيلي عبدالرحمن (السودان) عبدالله فاضل فارغ ، سعيد الشيباني محمد سعيد جراده ، عبدالله اللاحي كور سعيد عوض (اليمن) عبدالامير معلة ، خليل عبدالعزيز، حسب الشيخ جعفر ، جلال الدباغ ، عبداللطيف بندر اوغلو (العراق) محمود درويش معين بسيسو ، ناجي علوش (فلسطين) كاتب ياسين (الجزائر) سعيد حورانية (سوريا) عبدالرحمن الشرقاوي (مصر) عبدالرحيم عمر (الاردن) عبدالجبار السحيمي (المغرب) ■

بطاقات حب في بريد الدم

شعر : حافظ عليان

١ ـ غسان كنفاني

« الى الشهيد غسان كنفاني ،
صوت الدم الكاشف .. »
بترجل حبك في دمي كل مساء
وانا ما ساومت الشوق ولكني
اوقفت قطار الغربه عند
محطات الفقراء
وعبرت البوابات الممنوعه
للمنفيين اغني موال الاه
عن كل شهيد يطلع من كتب الثوره
عن كل حكايه حب مـا تمت
عن عشق الله
قمران هنا انكسرا
كان القمران انا ، وبلادي المحفوظه
في سفر الغربه
لكن الدم يحدد خارطة التوبه
فالاستغماية تسلية الزعماء
اما نحن الفقراء فقد اتقنا
كل الاشياء
الا هذي اللعبه
قمران هنا انكسرا
في عشق اللـه
مطران هنا انهمرا
في موال الاه
والموت يصير لقـاء
الموت الواقف يا غسان
في صف قرابين الفقراء
كي تزهر اغنية البرقوق على بيسان

٢ ـ حب حتى الحزن

« الى الشاعر الفلسطيني : س.ع »
لوجهي بكل المرايا
ملامح لا تتغـير
اغنى بظل جميلا
وابـكي ..
فيصبح اجمل اكثر

٣ ـ الرمز في القصيده

« الى رمز القصيدة .. »
هناك تكبر الاشياء وحدها
هناك تكبر القذارة التي
بجانب الطريق
تعانق الصغار ، يضحكون للنخيل
وقفت كي اشارك الاطفال ضحكهم
اعض في اصابعي
ضحكت كي اشارك الاموات ضحكهم
اعـد في اصابعي
وراء كل نخله قتيل
وراءها قتيل
وراءها قتيل
وراءها قتيل

٤ ـ موال بلـدي

« الى الاقلام المنفية عن طريق
ـ ا. ف. »
لوجهك طلعة الموال لو سكتت
مرائي الحب
لمرات .. اعيد تلاوة الموال
قبل النخب
وابكي من صميم القلب
قصائد للملايين التي رفعت
شعـار الحرب
لتاكل خبزها .. خمرا ..
فيصبح ذلها .. نصرا
تغير شكل هذا الرب